



التصوف المسيحي الفرنسي لم يمت

جان بريور (Jean Prieur) نموذجاً

مالك أبو حمدان

في خضمّ الأزمة السياسيّة والثّقافيّة والهويّاتيّة والاجتماعيّة (والانعزاليّة) الحاليّة.. قد يعتقد البعض أنّ بلدًا (فرنسا)، وأنّ ثقافة كالثقافة الفرنسيّة لا يمكن أن يكونا قد حافظا على بُعد روحيّ أو "روحانيّ" ذي عمق أو ذي فعاليّة حقيقيّة في الواقع المعاش بعد كلّ هذا التّاريخ الظّاهريّ أو المادّيّ أو اللّايبيكيّ-العلمانيّ المُبين (إن صحت هذه التّعابير كلّها وما يشبهها مقصداً، ضمن الإطار العامّ نفسه). نحن هنا أمام وهمٍ بالتّأكيد في ما يخصّ واقع الشعب الفرنسيّ المعاصر "على الأرض". فالبعد الرّوحيّ لا يزال موجوداً ضمن حياة كثيرٍ من الفرنسيّين، بعيداً عن ضجيج السياسة واضطرابات الهويّات والخوف والتّعصّب وما إلى ذلك. وقد عايشنا ذلك على المستوى الشّخصيّ واقعاً: إنّما "أهل الله" في فرنسا متواجدون.. وفي جميع أحياء باريس والمدن الكبرى تقريباً، كما وفي مناطق مُدنيّة وريفية واسعة.. أكثر بكثير ممّا يُمكن تخيّلُه من الخارج أو في ظاهر الأمور. تبين تجربتي الخاصّة أنّ على المراقب والمتابع أن ينظرا جيّداً، وبالعين البصيرة لا بمجرد العين الباصرة. إنّ هؤلاء من "أهل الله" متواجدون بقوة. وهم أحياء بكلّ ما للكلمة من معنى ونبض: يتفكّرون، ويتأمّلون، ويعشقون بلا شرط، ويسبّحون، ويذكرون في الغدوّ والأصال.. حتّى تكاد تظنّ أنّ الرّوحانيّين والرّوحانيّين هم أشدّ صفاءً وبصيرةً، وأرقّ قلباً، في الدّول ذات الهيمنة "المادّيّة" أو "الإلحاديّة" الظّاهرة! وقد تحدّثتُ في السابق من القول والمقال عن الفيلسوف الفرنسيّ الوجوديّ-الرّوحيّ الكبير: المفكّر، والكاتب المسرحيّ، والسّالك الصّوفيّ المسيحيّ غابرييل مارسيل (ت. ١٩٧٣ م). ومن يقترب من عالم مارسيل وعوالم أمثاله في فرنسا.. تتجلّى له بوضوح وجمال كبيرين، وبصفاء قلّ نظيره، ما يُمكن تسميتها "بفرنسا العميقة" أو "بفرنسا الباطنيّة". نعم، أشهدُ أمامك أيّها القارئ العزيز: أنّ فرنسا الباطنيّة لم تمُت يوماً، ولكنّ أكثر النّاس لا يشعرون! أدعوك مثلاً إلى مشاهدة أي مقابلة مع غابرييل مارسيل حتّى تفهم ماذا يعني الكلام هذا تدوّقاً وحسّاً. ومن زاوية الثّقافة الإسلاميّة، من المرجّح أن تتذكّر فوراً، عند مشاهدة هؤلاء والاستماع إليهم، وعند قراءة أعمالهم.. من المرجّح أن تتذكّر آياتٍ بيّناّت مُنْزَلاتٍ هاديّاتٍ مُرشِداتٍ

منقذاتٍ مُلهِماتٍ من الذِّكر (الإسلاميِّ-العالميِّ) الحكيم. ومن مثل ذلك، قوله سبحانه جَلَّ من قائل: “رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ”. (النور، ٣٧)

لم يكن جان بريور مسيحياً تقليدياً، ولم يكن أصلاً “مُتديناً” تقليدياً، أبداً كغيره من أهل مدرسة التَّصَوُّف والعرفان: لأنَّه بالتأكيد صاحب تصوّف يؤمن بنظريّة وحدة الوجود كما تعبّر عنها اليوم في اللّغة العربيّة. عندما تقرأ يوحنا المصليّ أو تسمعه: تكاد تشعر وكأنّك تقرأ أو تسمع أحد علماء الصّوفيّة المسلمين نعم، في فرنسا، ظاهراً وباطناً، وفي بيوتٍ حجريّة ومعنويّة “أذن الله أن تُرفع ويُذكرَ فيها اسمه”.. نساءً ورجالاً لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ ولا انتخاباتٌ ولا أحزابٌ ولا فلسفاتٌ مادّيّة ولا فلسفاتٍ ظاهريّة، ولا حتّى أغلب “رجال الدّين” الظّاهريّين.. لا يُلهونهم جميعاً عن التّطلّع الدائم إلى معرفة بواطن أنفسهم ومجاهدتها وتزكيتها: على قاعدة أن “من عرف نفسه، فقد عرف ربّه”. وقد يكون أهمّ نموذجٍ عن هذا الصّنف من “أهل الله” الفرنسيّين المعاصرين: تابع مارسيل وصديقه، الكاتب والفيلسوف الفرنسيّ، وأحد أعمدة “الفلسفة الروحانيّة” في فرنسا المعاصرة بلا شكّ.. أقصد بالطّبع السّالك المسيحيّ، والمتصوّف العالميّ، والترجمان الملكوتيّ: جان بريور أو “يوحنا المصليّ” كما أحبّ أن أسمّيه (ت. ٢٠١٦ م). مدوّنة جان بريور الرّسميّة تحت إدارة بعض مريديه (عائلته تبرّأت منه حتّى قبيل وفاته على الأرجح) لم يشتهر الرّجل بعدُ – فرنسيّاً – كما ينبغي بسبب تبنيّه نظريّات الرّوحانيّين عموماً (Les spiritistes) بقيادة أحد شيوخهم الكبار: أبي البرزخ والأرواح، وطالب الصّباح قبل المصباح، آلان كارديك (ت. ١٨٦٩ م؛ شاهد فيلم Kardec على Netflix لتقريب الصّورة والمعنى). الانتماء إلى كارديك (أو نظيره السّويديّ العجيب سوينبرغ المتوفّى سنة ١٧٧٢ م).. مسألة شائكة جدّاً في بلد “العقلانيّة” (الظّاهريّة) المتطرّفة. الدّولة الظّاهرة في فرنسا.. لا تُحبّ عوالم الأرواح والملكوت.. حتّى الآن. ولكنّ ذلك لا يُزعج أتباع كارديك العجيب والمصليّ المُنيب، أبداً. فهم يُكملون تأملاتهم ومشاهداتهم وتواصلهم مع عوالم المَلَكُوت والجَبَرُوت واللّاهُوت بعيداً عن ضوضاء يعاقبة (Jacobins) الثّورة الفرنسيّة المتطرّفين، وبعيداً عن أهل الظّاهر والمادّيّة أجمعيّن. من زاوية ثانية: طبعاً، مدرسة روحيّة قلّ نظيرها، صدقاً وصفاءً وتعالياً واخلاصاً. مهنيّاً، كان جان بريور متخصصاً في تعليم اللّغة والأدب الفرنسيّين. وُلد عام ١٩١٤ في مدينة ليل الشّماليّة، وهو ابنُ عائلة برونستانتنيّة. ومع ذلك، وقع خلافتٌ كبيرٌ بينه وبين عائلته (ومن ثمّ أولاده حسبما فهمت): بسبب تبنيّه لفرضيّة عالم الأرواح، أو عالم البرزخ باللّغة الإسلاميّة. وهي فرضيّة أقرب إلى الكاثوليكيّة حسب الفهم العامّ والطّاعي، ومع ذلك لم يأبه الرّجل بهذا الخلاف واستمرّ في الغوص في استكشاف المدرسة الرّوحانيّة

كما سمّيناها آنفاً.. وفي التّقدّم ضمن عوالم التّصوّف والمَلَكوت. بقيَ بريور مسيحياً على ما نعرفه عنه، ولكن لم يكن “مسيحياً” كالآخرين. فقد بدأت حياته الرّوحية بشكل خاصّ خلال رحلة سياحية يونانية حصلت في شبابه الأوّل كما يروي. وبينما كان يمشي في أرض الاغريق “سمع” صوتاً عظيماً ومُلاحاً وعميقاً وطاغياً يخرج من صدره.. أن: يا أيّها الفرنسيّ! “ليس من إلّه إلّا الله!” وهي عبارة تُذكّر بالعبارة التي سمعها محمّد بن عبد الله الفريشيّ من المصدر (Source) نفسه: “واعلم أنّه: لا إلّه إلّا الله!” (محمّد، ١٩).

ألح الصّوتُ هذا على المُصلّي، وقَلَبَ روحه وجسده.. وحياته إلى حين وفاته (هل “مات” بريور فعليّاً؟ هذا بحثٌ خطير آخر، ستفهم خطورته في ما سيلي). فهم من حينها أنّه مكلفٌ بشكل أو بآخر برسالة مُعيّنة، لازمت سيره وسلوكه وأبحاثه وأعماله وخطابه وحياته كلّها إلى حين “وفاته”: تذكير المسيحيّين، والغربيّين عموماً، بأهميّة التّركيز على عبادة “الآب” ضمن الثالوث الآب والابن وروح القدس. كما سبق وأشرنا: بقيَ بريور “مسيحياً”، ولكن لم يكن مسيحياً كالآخرين. فهو كان ناقداً للعقيدة السّائدة حول الثالوث المُقدّس، دون أن يرفضها كليّاً. آمن بالثالوث، لكن من خلال تصوّر خاصّ. من السّمات الطّاغية ضمن مدرسته أيضاً: تفضيله لأبي المكاشفات، وأخي المشاهدات، ورسول اليوم الموعود (L’Apocalypse)، وموثّق الشّاهد والمَشهود.. يوحنا الإنجيليّ (صاحب إنجيل يوحنا) على بقية تلامذة المسيح النّاصريّ، وخصوصاً، تفضيله له على بولس الرّسول. لم يكن Jean Prieur على اتّفاق تامّ مع مدرسة بولس عموماً: اعتقد أنّه حمّله، ضمناً، مسألة تغطية “الابن” على “الآب” في العقيدة وفي العبادات المسيحية السّائدة إلى اليوم.. ولكن هذا بحثٌ آخر طبعاً. عندما تقرأ يوحنا المُصلّي (جان بريور) أو تسمعه تكاد تشعر وكأنّك تقرأ أو تسمع أحد علماء الصّوفيّة المسلمين. لم يكن على علاقة حميمة تماماً مع أهمّ المدارس والديانات الآسيوية الشّرقية، لكن لسبب أساسي آخر على الأرجح (بالإضافة إلى مسألة “الإله الشّخصيّ” ربّما): لم يعتقد بريور، من خلال مشاهداته أوّلاً، أنّ تقمّص الأرواح (Réincarnation) قاعدة عامّة. التّقمّص عنده هو استثناء: أمّا أغلب الأرواح فتُسافر في عوالم رُوحية غير مادّية حتّى يحين يومها الموعود (وهو يوم فرديّ لا جماعيّ عنده، وهذا أيضاً بحث آخر). حيوات أخرى، طبعاً. لكن: ليس التّقمّص في العوالم المادّية كقاعدة. سنعود في ما يلي إلى البُعد “الرّوحانيّ” هذا في أعمال Jean Prieur، مع تحفّظنا الأكيد على استبعاد الأديان والمذاهب والمدارس الرّوحية الآسيوية بسبب مسائل جزئية في الأعَمّ الأغلب. تصوّف بريور مبنيّ طبعاً على ثنائية المعرفة (Connaissance) والمحبة (Amour) الإلهيّة المصدر والطّبيعة. رمز المحبة الأكبر عنده، كما عند الكثيرين من العارفين المسيحيّين والعالميّين، هو بلا أدنى شكّ: المسيح يسوع النّاصريّ. ذاب بريور في عشق يسوع.. كما ذاب هذا الأخير في حبّ “الآب”.. وحبّ الموجودات كلّها. وهل في الوجود أصلاً، في

باطن الأمور وفي حقيقتها: غيرُ هذا “الآب”؟ “ما من إله غير الله”: عند بريور، كما عند ابن عربي، تُصبح.. “ما في الوجود إلا الله”! أبداً: ما في الوجود غيره! إنَّ في ذلك، عند بريور وعند العارفين من أمثاله: سرُّ الأسرار، ومفتاح الحرِّيَّة، وباب أبواب الأبدية. وإنَّ ادراك هذه الحقيقة، تدوَّقاً قبل أن يكون ذلك تفكُّراً: هو ادراك الفرح الأبديِّ المُطلق الذي لا يزول. تماماً كما يصفُ ذلك شعرُ أحمد الشَّهاويّ، بغناء الفنان بشَّار زرقان: عَنْ حَالٍ (حَالِي): اَغْمَضْتُ (حَالِي) قُلْتُ: يَا بَحْرُ! أَيْنَ أَنْتَ؟ عَنْ عَيْنٍ (عَيْنِي) اَغْمَضْتُ (عَيْنِي) وَمَا رَأَيْتِي: سِوَاكَ (أَنْتَ)! خُذْ شُفُوفِي .. شَفَا رَجُلِي وَرُخْ بِرُوحِي: مَا تَمَّ شَيْءٌ إِلَّاكَ (أَنْتَ)!

هل من شهود على الحياة ما بعدَ الحياة ؟ مع التَّبسيط والايجاز، عالم الرُّوح عند جان بريور هو العالم الرُّوحيّ الأعلى، وإمامه أو سيِّده أو رمزُه الأعلى هو بدوره روح القدس (Le Saint Esprit) المسمَّى عادةً بأخي الوحي جبريل.. أو “بالرُّوح الأمين” كما يسمِّيه القرآن أيضاً على الطَّريقة العربيَّة. أمَّا عالم الأرواح فهو برزخٌ بين عوالمنا الماديَّة وبين ذاك العالم الجبروتيِّ كما يُعبَّر عن ذلك أهلُ العرفان، إنَّه العالم الذي تصعد إليه، أو تعود إليه، الأغلبية السَّاحقة من الأرواح بعد الانتقال من هذه الدُّنيا (مع بعض الاستثناءات النَّقْصِيَّة وما إلى ذلك، ولا مجال هنا للتَّفصيل والنَّقد والنَّقاش). من العجيب حقّاً هذا التَّطابق شبه الكلِّي بين نظرة الصَّوفيِّين إلى أبعاد الوجود وعوالمه.. مع اختلاف خلفياتهم الدِّينيَّة والمذهبيَّة والثَّقافيَّة. برأيي، ومن خلال تجربتي المتواضعة: إنَّ هؤلاء تحصلُ معهم “المشاهدات” نفسُها.. كيف لا والمصدر واحدٌ، وهو في باطنه “أحدٌ”؟ تأثَّر جان بريور خلال شبابه بفكر أحد الفلاسفة الرُّوحيين الفرنسيِّين الكبار فيما يخصَّ النِّصف الأوَّل من القرن العشرين: أقصد الكاهن الكاثوليكيّ، والفيلسوف، وعالم الحفريات، بيار تيلارد دي شاردان (ت. ١٩٥٥ م). أهميَّة فكر دي شاردان في ذلك العصر كانت متمحورة بالأخصَّ حول:

(١) محاولته الجديَّة للتَّقريب بين الإيمان وبين العلم بشكل عامّ؛

(٢) عمله، في السِّياق عينه عموماً، على نظرة تطوُّريَّة للبعد الرُّوحيّ في الإنسان (متأثراً بأعمال داروين والدَّراونة طبعاً)؛

(٣) جهده الكبير في سبيل إعادة النَّظر في الرُّؤية الإثنينيَّة المبسِّطة للعلاقة ما بين المادَّة والرُّوح.

تميل أعمال دي شاردان النِّبولوجيَّة والفلسفيَّة إلى نظرة رُحيَّة واجديَّة. وقد تأثَّر به بريور بشكل أكيد. غير أنَّ اللِّقاء الأهمَّ في تلك المراحل الأولى من الشَّباب هو، على ما يبدو جليّاً من كتاباته وسيرته وتأمُّلاته وأفكاره: لقاءه بالمرأة الفرنسيَّة العجيبة ذات الأصول النَّبيلة أيضاً.. مدام مارسيل دي جوفنيل (ت. ١٩٧١

(م). اللقاء مع هذه الأمّ الشاهدة على "العالم الآخر" لا يُشبه أيّ لقاء آخر. إنّها الأمّ التي خسرت ولداً لها وهو في عمر الخامسة عشرة، وهو رولاند دي جوفنيل (ت. ١٩٤٦ م). قصّة مارسيل مع ابنها المتوفّى شكّلت عند الكثيرين، وفي عدد من الأوساط الفلسفيّة والروحانيّة والنّثولوجيّة الفرنسيّة المؤثّرة: شكّلت أحد القرائن، بل أحد الأدلّة القويّة جدّاً، على وجود عالم الأرواح (أو "عالم ما-بعد"، أو الملكوت، أو البرزخ إلخ.). إنّها قصّة فريدة، وهي في الوقت عينه: عجيبة، جميلة، رومانسيّة، شاعريّة.. وشديدة العمق والدّلالة. تحكي أمّ رولاند أنّ ابنها بدأ يتواصل معها، بعد وفاته، من خلال وسائل وتجلّيات و"علامات" متعدّدة. أهمّها: الكتابة الأتوماتيكيّة، إذ بدأت تُحسّ، في أوقات معيّنة ومتكرّرة، أنّ هناك قوّة غير مألوفة تدفعها إلى الإمساك بقلم.. وإلى الكتابة. كتابة ماذا؟ كتابة خطاب ذي مضمون منطقيّ وعقلانيّ، ولكن، ليس خطابها هي. ليس خطاب أمّ رولاند: وإنّما هو خطاب ابنها رولاند إليها من "عالم ما-بعد"! إنّهُ خطاب رولاند نفسه ولكنّه يتجلّى من خلال الكتابة الأتوماتيكيّة. حصل مع السيّدة دي جوفنيل ما حصل ويحصل مع نساء ورجال كثيرين على ما يبيّنه البحث في هذه المواضيع: تواصلت معها "روح" شخصٍ منتقلٍ من هذا العالم.. ومن خلال الكتابة الأتوماتيكيّة (التي لها قواعد طبعاً عند القوم، ولها شروطٌ معيّنة للتأكّد من صحّة مصدرها، ولا أعلم لجان بريور مهنة أهمّ من هذه المهنة "الترجمانيّة" خلال حياته. وهو قد اشتهر في فرنسا بسبب هذه "المهنة" أصلاً، وفي الأعمّ الأغلب). لم يكتفِ رولاند على ما يبدو بذلك "الكلام" الذي ولّد أروع التّعابير والجمال الأدبيّة الروحانيّة المتعاليّة.. بل أراد أن يُقيم الدليل على حقيقة تواصله مع أمّه من عالم الأرواح. "قال" رولاند لأمّه إنّهُ "مأمورٌ" بأن يقوم بذلك.. لكي تكون تذكرةً للفرنسيّين وللمادّيّين وللناس، ولكي تكون بُشرى للعالمين. هنا، دخل المُصليّ-الترجمان (جان بريور) على الخطّ، ليسطرّ مع مارسيل ورولاند أروع القصص الرّوحيّة والصّوفيّة والروحانيّة المعاصرة ربّما، في فرنسا وفي العالم. دخل المُصليّ على الخطّ ليفهم القضية أولاً، ثمّ ليتأكّد من صحّة وحقيقة هذه الظّاهرة الفرنسيّة المستجّدة في بلد العلمانيّة واليعاقبة والماركسيّة.. وفي بلد جان بول سارتر والوجوديّة المُلجدة! استجلبَ جان بريور الدليل من رولاند، فأجابه هذا الأخير – خصوصاً من خلال أمّه – على شكل وقائع دامغة لا يُمكن الشكّ بها. أعطاه مثلاً: معلومات دقيقة معيّنة عن حياته الشخصيّة لا يمكن له ولا لأمّه أن يعلما بها.. أو معلوماتٍ بيّناّتِ صادقاتٍ دامغاتٍ عن أحداثٍ تحصل بشكل متزامن في أماكن مختلفة.. وما إلى ذلك. عرف جان بريور أنّه أمام "تواصلٍ" لا ريب فيه مع العالم الموعود، أي مع عالم الأرواح ذي الشّهود. فوثّق القضية وعرضها على الفيلسوف الوجوديّ المسيحيّ الكبير غابرييل مارسيل. كانت الأدلّة دامغة إلى درجة اقتنّع بها رجلٌ فيلسوفٌ من هذا العيار. وانطلقت الموجة الرّوحانيّة الفرنسيّة الغربيّة الجديدة الكبرى، فقلبت حياة المُصليّ العجيب مجدّداً. وولدت أعمالاً رائعة، بل وعظيمة الرّوعة والجمال.. والمعنى. أهمّها، من جهة السيّدة مارسيل دي جوفنيل Au :

Diapason du Ciel, Introduction de Jean Prieur, 1981, réimp. 1987 et 1994 ("messages" d'octobre 1946 au 23 septembre 1947); Quand les sources chantent, 1978, réimp. 1986, 1994 ("messages" de septembre 1947 à décembre 1948); Au seuil du Royaume, Présentation de Jean Prieur, 1980, réimp. 1990 (messages de janvier 1949 à décembre 1953).
بريور غالباً، "رسائل" رولاند ووصاياه الرائعة وفاتنة الأهمية "من العالم الآخر" (..أو هو العالم الحقيقي الوحيد ولكن أكثر الناس لا يشعرون) أمّا من جهة Jean Prieur ، فقد ولد هذا التعاون وغيره ممّا يشبهه مثلاً ومضموناً وشكلاً: ولد أعمالاً لا أعرف كيف يُمكن وصف روعتها صراحةً. فمن ناحية قضية رولاند تحديداً، وبالإضافة إلى ما سبق، وبالإضافة إلى رسم جان بريور الجميل لأشهر لوحة تُصوّر وجه هذا الصبيّ العجيب : Les tablettes d'or, Autour de Marcelle et Roland de Jouvenel, Paris, Lanore, 1979.
معهما، كما ويفصل الأدلة في هذه القضية العجيبة.. ويتفكر في معانيها والرسائل من ورائها. لماذا الألواح الذهبية تحديداً؟ لقول رولاند لأمّه في إحدى رسائله (وردت في مدخل طبعة عام ٢٠١١): يوماً ما، إذا لم أعد قادراً على التواصل معك، فسوف أورت لوحاتي الذهبية شخصاً آخر. (رولاند، ١٥ نوفمبر ١٩٥١).
لقد ورث جان بريور بالتأكيد هذه اللوحات الذهبية، وهذه الخمريات الروحية، وهذه الجواهر الإلهية، وهذه الأناشيد المَلَكوتية، وهذه الحوليات الروحانية.. وورث جزءاً كبيراً من جهد الدفاع عن المدرسة الصوفية-الروحانية والترويج لأفكارها في فرنسا وحول العالم، ومن جهد الدفاع عن الأدلة على حقيقة "العالم الآخر" وحقيقة الحياة الأبدية للروح. وقد أدى ذلك في ما أدى إليه إلى نشره كتاباً آخر، من أروع وأجمل وأعجب ما يُمكن أن تقرأه، فرنسياً وصوفياً. Les témoins de l'invisible, Fayard, 1972. إنه كتاب: شهود (العالم) غير المرئي. إنه حقاً لكتاب الشهود، واليوم الموعود، والبرزخ ذي الحدود. إنه ببساطة: كتاب عظيم، وشديد الأهمية، وعميق المعاني والآثار.. أمنت بوجود عالم الأرواح وعوالم الغيب، أم لم تؤمن بذلك أبداً. عظمت وأهميته متعدّتا الجوانب :

أولاً؛ من حيث السرد لا من حيث ترتيب الأهمية: فقد قدّم له غابرييل مارسيل نفسه، وما هذا بالأمر البسيط أو العابر .

ثانياً؛ يبدأ الكتاب بسرد قصص وشهادات (وبعض الأدلة على "حقيقة") أهمّ "الشهود"، خصوصاً في العالم الغربيّ المسيحيّ (الثقافة) منهم مارسيل دي جوفنيل وابنها طبعاً، ومنهم أيضاً آخرون عديدون: كالضابط الفرنسيّ الشاب Pierre Monnier المتوفّى على إحدى جبهات قتال الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٥.. وسردية تواصله مع أمّه سيسيل. ومن هؤلاء أيضاً شهود فرنسيّون وأوروبيّون-قاريّون وأنجلو-ساكسونيّون آخرون معروفون في هذه الأوساط.

ثالثاً؛ يعرض بريور فرضيّة عالم الرّوح وعالم الأرواح.. ويدافع عنها، مع البقاء قدر الإمكان ضمن سياق مسيحيّ، ومع استخدام لأساليب أدبيّة شديدة الرّوعة حيث أمكنه ذلك. أدبيّاً، أعتقد أنّ الكتاب فريدٌ صراحة، خصوصاً عند وصف العوالم والأبعاد.. وسكّانها.

رابعاً؛ يفدّ جان بريور آراء المعارضين والمخالفين وينقدها و/أو يدحضها حيث أمكن. خامساً؛ يحاول أن يُقرب بين أهمّ أعمدة النّظريّة الرّوحانيّة وأهمّ المكتشفات العلميّة الحديثة (راجع ما سبق حول تأثيره بدي شاردان).

سادساً؛ يضع هذه النّظريّة في سياقها المناسب ضمن تاريخ الفكر والفلسفة الإنسانيتين. سابعاً؛ يبدأ، كما ألمحنا، ملحمةً أدبيّةً بكلّ ما للكلمة من معنى، يصف من خلالها "ممالك الظّاهر الأربع".. ثمّ "ممالك الباطن الثلاث"، لينتهي به الأمر في الخلاصة إلى ممالك سبع يُبنى عليها تجلّي الذات الإلهيّة بنفسها على نفسها. أي: تُبنى عليها مظاهر ظهور "الإله الأحد الأزليّ".. على نفسه (وعلى موجوداته بطبيعة الحال، وهل في الوجود "غيره" أصلاً؟ تذكر دائماً نظريّة أو عقيدة الصّوفيّة: وحدة الوجود والموجود.. ففي باطن الباطن، لا وجودَ أصلاً لغير "الله" أو "الوجود الحقيقيّ الأزليّ"). قصّة آل دي جوفنيل وجان بريور وغابرييل مارسيل وأصدقائهم في هذا الإطار.. عبارة عن ملحمة رويّة وروحانيّة. نترك القارئ العزيز مع تشويق استكشافها واكتشافها، آملين أن نعود إلى تفاصيلها وتفاصيل أعمال المُصليّ الكثيرة في وقت قريب (إن شاء "الله".. وهل نشاء إلّا أن "يشاء"؟). ولكن، لنتذكّر الأعمدة الأهمّ للطّرح الكامن وراء هذه الملحمة، ووراء هذه الصّرخة الموجهة نحو الإنسان المُعاصر ونحو الفلسفات الماديّة المُعاصرة على اختلافها، ليس "الظّاهر" لحواستنا ولذهننا هو كلّ الموجود؛ حياة الرّوح الإنسانيّة خالدة في المبدأ (إلّا ضمن بعض الاستثناءات)؛ عالم الأرواح حقيقة وواقع، وأهله أقرب إلينا ممّا نتوهم؛ التّواصل مع هذا الأخير ممكن لمن "أذن" له؛ عالم الرّوح موجود أيضاً، وهو يعمل بشكل مستمرّ على "التّواصل" بين عوالم الألوهة وبين العوالم الدّنيا، ومنها عوالم الأرواح والمادّة؛ البُعد الرّوحيّ في الإنسان هو البُعد الأهمّ والأكثر حقيقةً.. وصولاً إلى أنّ المحبّة سرٌّ

عظيم من أسرار الوجود. وأنّ لأعمالنا الواعية كلّها عواقب قد تكون من النوع الأبديّ.. فانتبه يا أيّها الإنسان! فَمَنْ عَمِلَ صالحاً فإنّما يعملُ لنفسه، ومن يُسيءُ فعليّها لا على غيرها.. و”لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى”. وكلُّ شيءٍ وُجد أو تواجد، بما فيه الشرّ والمعاناة، فإنّما وُجدَ أو تواجدَ لسببٍ ولقدّرٍ ولحكمَةٍ من النوع الأبديّ أيضاً.. وما “الوجود” بظلامٍ للعبيد! أمّي، تَخَلّصي من نفسك، كما تتخلّصُ الزّهرة من بتلاتها فلا تُبقي إلّا كأسها. التّواصلُ بين الرّوح وبين الله لا يُمكنُ أن يتحقّقَ إلّا من خلال القلب. (رولاند، ٢٠ مايو ١٩٦٠). حقّاً، يستحقّ هذا الحديثُ وأهلُه عودةً إلى صرخة حبيب الأرواح، وريحانها والراح، السّهرورديّ العاشق المقتول المرتاح، وأخي الاشرار ذي الصّباح: أبداً تحنُّ إليكم الأرواحُ ووصالكم ريحانها والراحُ وقلوبُ أهلٍ وداكم تشفقكم وإلى لذيذ لقائكم.. تَرتاح!